

قناة الجزيرة في عالم متغير

صغير حياة¹

مقدمة :

تأسست قناة الجزيرة بدولة قطر التي تنتمي لدول الخليج العربي، وقد تحولت شعوب هذه المنطقة من جغرافية صحراوية ونمط ثقافي تقليدي إلى نمط ثقافي عصري وذلك نتيجة اكتشاف النفط والتنقيب عنه من قبل الشركات الأجنبية، التي قامت وعلى مراحل متعاقبة ببناء وتشيد المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وكان المجتمع القطري من بين المجتمعات العربية التي عرفت تحولا كبيرا على جميع هذه المستويات والأصعدة.

ويبدو أن أكبر حدث وأرقى إنجاز يرتبط بهذا المجتمع على الرغم من صغر مساحته وقلة عدد سكانه يتمثل في تشييد قناة الجزيرة، وهي مؤسسة إعلامية متطورة ومزودة بأرقى وسائل التكنولوجيا الحديثة التي مكنتها في المرحلة الراهنة من منافسة كبريات القنوات الفضائية الأجنبية والعربية .

وعلى هذا الأساس فإن المجتمع القطري قد انتقل من المجتمع التقليدي إلى مجتمع المعرفة الذي يقوم على استثمار واستعمال وسائل الإعلام الحديثة ، وتمثل بعض ملامح هذا المجتمع العربي الجديد في تشكل قناة الجزيرة، التي صارت وسيلة اتصال مهمة تلبي حاجات الرأي العام على المستوى الإقليمي والدولي، من خلال تغطيتها الإعلامية لمختلف القضايا والأحداث الدولية : " أفرزت ثورة تكنولوجيات الاتصال تأثيرات بارزة في العملية الإخبارية برمتها ومست مختلف جوانبها بدءا من جمع المعلومات وتغطيتها إلى

¹ - طالبة دكتوراه في علم اجتماع الاتصال، جامعة تلمسان

معالجتها وعرضها على جمهور المشاهدين . وتبدو هذه التأثيرات أكثر وضوحا في نشرات الأخبار باعتبارها المنتج النهائي والرئيسي لمختلف العمليات الإخبارية ، وهذا التأثير يلاحظه حتى المشاهد العادي إذ ما انفكت أساليب العرض والتقديم تتطور بشكل سريع ملفت للانتباه . وقد ساعد على ذلك .. وتعدد القنوات التلفزيونية، وازدياد حمى المنافسة فيما بينها لخدمة جمهور ما انفك يتطور وتنوع رغباته وحاجاته الإعلامية.⁽¹⁾

نحاول في هذا المقال الكشف عن أهم الخصائص التي تميز قناة الجزيرة متمثلة في : طبيعة التغطية الإعلامية للخبر الإعلامي ومصادره ، والمقومات المهنية والشخصية للصحفيين والمراسلين ، ونوعية البرامج التي تبثها ، وموقفها من الأحداث العالمية وخاصة الأحداث العربية الراهنة التي أطلقت عليها تسميات عدة أهمها : الربيع العربي والحراك الاجتماعي والانتفاضة والثورة ...

التحليل:

1 - التغطية الإعلامية للخبر الإعلامي ومصادره :

تتميز قناة الجزيرة بخصائص متميزة جعلتها أرقى من القنوات الفضائية الأخرى ، وتتمثل هذه الخصائص في المهنية والاحترافية ، حيث تعددت وجهات النظر بين المتابعين والمراقبين بين مؤيد ورافض لمسألة مهنية وصدقية القنوات الفضائية العربية وبخاصة قناة الجزيرة حيث : " لا تعني الاستقلالية النسبية بالضرورة ترقى الإعلام العربي إلى مستوى مرتفع من المهنية بما يمكنه من إشباع حاجة المواطن العربي إلى المعلومات ذات الصدقية، وتوسيع دائرة الاختيار، وتسليط أضواء حقيقية وليست خادعة على الأوضاع

والسياسات القائمة وتزويد القارئ العربي الأدوات الثقافية الضرورية لفهم ما يجري في بلده ووطنه العربي الكبير والعالم من حوله . وتعرض قضية المهنية والصدقية لمبالغات شعبية وسياسية كثيفة . فالبعض لا يكاد يصدق الانجازات المهنية التي حققتها تحديدا الفضائيات العربية ، ويبالغ هؤلاء في مدى التغير الذي فرضته محطة مثل الجزيرة على الحياة السياسية والبيئة الثقافية العربية . أما البعض الآخر فينعتها بكل النعوت السلبية . ولا تزال مثل تلك المناظرات تحتدم في كل أرجاء المنطقة العربية." (2)

يتسم الخبر الإعلامي بقناة الجزيرة بسرعة نقل وبث الخبر ومن أي مكان في العالم وفي وقته المحدد وتبث الأخبار الساخنة بجرأة كبيرة في عرض الحدث والتعليق عليه سواء داخل القناة أو في عين المكان هذا ما يسمى بالسبق الصحفي ، كما تتميز الأخبار الإعلامية بالقناة بالتنوع والتدفق الإعلامي ، ويتجلى ذلك في قيام الصحفيين بالإستديو المركزي والمراسلين المنتشرين بعرضها على المشاهدين ، ويستضيفون أساتذة مختصين وكتابا ومحللين سياسيين وإعلاميين ، وخبراء في مختلف المجالات ، ومن مختلف البلدان العربية والأجنبية لتحليلها ، وهذا ما يجعل المشاهد أو المستهلك للخطاب الإعلامي يكون تصورا مفاده أن قناة الجزيرة تبث أخبارا تتميز بالمصداقية، حيث : " خاضت ثلاث تجارب مهمة نجحت من خلالها في بناء مصداقيتها في العالم العربي، لتصبح القناة الأكثر مشاهدة والأكثر قيمة في العالم لدى العرب المنتشرين في أوروبا وفي آسيا والأمريكيتين . التجربة الأولى عندما دخلت الأراضي الفلسطينية في عام 2000 لتغطية الانتفاضة الثانية، ثم تجربة أفغانستان في 2001 عندما قامت بتغطية الغزو الأمريكي لإسقاط حكم

طالبان، والثانية حرب العراق في 2003 .. وخلصت دراسة أجراها مركز بحوث المؤتمر الدولي لبحوث المشاهدين في عام 2003 أن الجزيرة صنفت في العالم العربي على مقياس المصدقية بنسبة 61 بالمائة من جانب 57 بالمائة من مالكي أجهزة التلفزيون في مصر والأردن والمغرب والإمارات والكويت وقطر الذين يعتبرون القناة مصدرهم الرئيس للمعلومات.⁽³⁾

كما تنفرد قناة الجزيرة عن باقي القنوات الفضائية الأخرى بقدرتها على رصد الخبر ونقله بسرعة فائقة للرأي العام مما يجعلها في سوق المنافسة الإعلامية أرقى وأفضل من الفضائيات العربية الأخرى. هذه الميزة جعلت من المشاهد زبونا بامتياز لقناة الجزيرة على الرغم من أن قناة العربية حاولت أكثر من مرة أن تجعل من نفسها بديلا لها في تغطيتها للأخبار والأحداث العالمية والإقليمية ، وفي إنجاز صفقات صحفية مع بعض الرؤساء والسياسيين .⁽⁴⁾

وكثيرا ما تعتمد القنوات الفضائية الأخرى على قناة الجزيرة للحصول على الأخبار والمعلومات ذلك يعني أن قناة الجزيرة صارت بفضل تقنياتها التكنولوجية الحديثة مصدرا لنقل الأحداث العالمية والإقليمية ، ولأنها تعتمد في جمعها للمعطيات الإعلامية من أحداث وأخبار عالمية وإقليمية على المعالجة والتصنيف والعرض بناء على أهمية الخبر وقدرته على التأثير واستقطاب الرأي العام العالمي ، حيث أصبحت في المرحلة الراهنة تفتح أخبارها بالقضية السورية والعراقية ، والمصرية ، والأزمة اليمنية ... والصراع على الحدود بين الشمال والجنوب في السودان ، والمفاوضات بين الدول الكبرى وإيران حول برنامجها النووي ، والصراعات والمواجهات المسلحة في ليبيا بين قوات الجيش الليبي وجيش القبائل من جهة

وقوات فجر ليبيا ، وقوات ثوار مجلس شورى ليبيا وأخبار متفرقة من أفغانستان وكوريا الشمالية والصومال ..

2 - المقومات المهنية والشخصية للصحفيين بالقناة :

تظم قناة الجزيرة مجموعة كبيرة من الصحفيين والمراسلين من مختلف الدول العربية حيث يمارس الصحفيون العمل الصحفي بالاستديو المركزي للقناة بينما يمثل المراسلون نقاطا إعلامية موزعة ومنتشرة في جميع أنحاء العالم، ويمارسون جميعهم على اختلاف مهامهم وظيفية مشتركة تتمثل في التغطية الإعلامية للأخبار والأحداث العالمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية ، ويشترط في هؤلاء الصحفيين والمراسلين الالتزام بالنظام الداخلي للقناة ويسمى بـ "ميثاق الشرف الصحفي" . وتركز قناة الجزيرة في بث الخبر الإعلامي على التشويق والإبداع ويرتد ذلك إلى المؤهلات العلمية والخبرة المهنية في العمل الصحفي للطواقم الصحفي الذي يؤطر التغطية الإعلامية للأحداث الدولية .

لقد وجدت قناة الجزيرة صحفيين ومراسلين جاهزين سبق لهم ممارسة العمل الصحفي في قنوات تلفزيونية ببلدانهم أو في بلدان أخرى ، ولكن لأسباب مختلفة منها ضعف الدخل الشهري والتهميش وهشاشة العمل الصحفي والبحث عن تحسين الوضع المادي والمكانة الرمزية دفعت هؤلاء الصحفيين للعمل في قناة الجزيرة التي تقدم كل الامتيازات المادية والمعنوية للصحفيين والمراسلين ولكل العاملين بالقناة ، ويخضع هؤلاء الصحفيين عند قبولهم للعمل الصحفي بالقناة لدورات تدريبية ، وهذا التدريب يستفيد منه كل الصحفيين والمراسلين الذين يشتغلون في قنوات فضائية عربية أو أجنبية أخرى⁽⁵⁾

ولكن إذا كان الصحفيون يمارسون عملهم الصحفي داخل القناة، فإن المراسلين الصحفيين هم عادة يتعرضون لأخطار كبيرة وخاصة في تغطيتهم للحروب بين الدول وخاصة إبان حرب الخليج وغزو العراق، وأفغانستان، وفي سوريا وليبيا واليمن والعراق .. وتصل هذه الخطورة إلى درجة القتل فقد فقدت الجزيرة بعض المراسلين أثناء تغطيتهم للحروب ، وفي المقابل استطاع المراسلون من جمع أخبار دقيقة من مكان الحدث وهذا يعود إلى عامل الخبرة والكفاءة المهنية .

وبملاك هؤلاء الصحفيون القدرة المهنية على تأطير برامج القناة التي تتميز بالتعدد والتنوع . هذا التأطير الناجح يعود بالدرجة الأولى إلى الخبرة والتكوين العلمي حيث إن الصحفيين يحملون مؤهلات علمية كبيرة ويحسنون على المستوى التقني الربط بين الصورة والصوت والوضوح ذلك أن الصورة والمساحة البصرية التي تنقلها قناة الجزيرة للمشاهد لها أهمية كبيرة في إيصال الخبر أو الحدث الإعلامي لأن الصورة تعمل على نقل وقائع متحركة وهذا ما دفع بالباحثين في الإعلام والاتصال إلى اعتبار أن حاسة البصر عادة ما تكون هي الأقرب للكائن البشري في تحديد علاقته وتفاعله بالواقع⁽⁶⁾ . وتمثل بعض هذه البرامج في : "الاتجاه المعاكس" "بلا حدود" ما وراء الخبر "شاهد على العصر" "الواقع العربي" "حديث الثورة" "في العمق" "تحت المجهر" "من واشنطن ... التي تركز وتهتم بالحراك السياسي والإجتماعي الذي تشهده المنطقة العربية، حيث تقوم بعرض قضايا ساخنة وتفتح المجال للمستضيفين من الشخصيات السياسية والدينية والعلمية والتاريخية للتعبير عن مواقفهم وتصوراتهم لمختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية.

وقد ارتبط كل برنامج من برامج قناة الجزيرة بصحفي مكلف بتأطيره وتنشيطه حتى أنه يكفي بالنسبة للمشاهد أن تذكر اسم الصحفي ليعرف اسم البرنامج أو العكس حيث إن كل صحفي يريد من ذلك أن يضع لنفسه اسما صحفيا أو مكانة رمزية في عالم الصحافة، ومن خلال قناة الجزيرة ومن خلال أيضا الإشراف على برنامج متميز يستقطب كثيرا من المشاهدين: " يبدو أن الجزيرة تمكنت بفضل تجربتها أن تغدو بمثابة نموذج يتماهى به الكثير من الفضائيات العربية ، ولا سيما الإخبارية منها ، فضلا عن أنها تمكنت خلال عقد من الزمن أن تفرز طبقة جديدة من النجوم الإعلامية التي راحت تمارس سلطتها في الساحة العربية ، خصوصا مقدمي البرامج الحوارية الذين روجت لهم المحطة بطريقة لافتة ، إن كان من خلال اعتماد شخصنة البرنامج ، أو تحويل صورة المقدم نفسها إلى علامة على للبرنامج .. فالموضة هذه الأيام هي في استنساخ صورة فيصل القاسم في الإعلان عن برنامجه " الاتجاه المعاكس " الذي يقوم على سيل من الأسئلة لا تنتهي ، ويدعي صاحبها أن البرنامج سيجيب عنها ، فتكون النتيجة أن الحوار يتحول إلى حالة من الصراخ."⁽⁷⁾

قناة الجزيرة قبل الحراك الاجتماعي في الدول العربية :

سعت قناة الجزيرة منذ نشأتها وقبل بداية موجة الاحتجاجات والاضطرابات التي تشهدها دول عربية كثيرة في المرحلة الراهنة في مساندة القضايا العربية والإسلامية ، وكشف معاناة شعوبها ، والتنديد بالغزو الأجنبي لها حيث ساهمت هذه القناة في الدفاع عن القضية الفلسطينية ونقلت أخبارا عديدة عن معاناة الشعب الفلسطيني، وخاصة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وقصفه للمدنيين وتدمير البنيات التحتية التي ارتك، وقامت بتغطية انتفاضته

في القدس والضفة الغربية ... ، كما سبق وأن قام المراسلون الصحفيون للقناة بتغطية المحرقة الأمريكية والغربية على العراق ونقلت صوراً للعديد من القتلى من الأطفال والنساء والمدنيين وأبرز حدث نقلته الجزيرة في تغطيتها للعدوان الأمريكي وحلفاؤه وكشفها لجرائمه على العراق مجزرة ملجأ العامرية .

لقد كانت قناة الجزيرة مصدر قلق وإزعاج لأمريكا وحلفائها في منطقة الشرق الأوسط وبخاصة أثناء غزو العراق بذريعة امتلاك النظام العراقي لأسلحة الدمار الشامل ، وتعامله مع ما يسمى بـ " تنظيم القاعدة " ، فقد كانت تغطيتها الإعلامية في العراق تؤثر على الرأي العام العالمي وخاصة الشعوب العربية والإسلامية ، وربما هذا ما دفع بما يسمى بالمتطوعين العرب والمسلمين للمشاركة في هذه الحرب إلى جانب الجيش العراقي بدعوى " الجهاد ضد الغزاة الصليبيين " يقول محمد السيد السعيد : " بدأت الضغوط والتدخلات الأجنبية بالارتباط مع الصراع السياسي المشتعل في المنطقة العربية وعلى المستوى العالمي تؤثر بصورة ملموسة في أداء الإعلام العربي ، خصوصاً بعد الغزو الأمريكي للعراق ، وبمناسبة الحرب الإعلامية بين العرب والأمريكيين ، إذ صار الإعلام العربي نفسه مادة للتجاذب بين الطرفين ، فانتشر في الإعلام العربي القول بأن المواقف والأفعال الأمريكية هي هجوم صليبي على الأمة العربية والإسلامية ، بينما اتهم الأمريكيون الإعلام العربي ، وخاصة الفضائيات وعلى رأسها قناتا الجزيرة وأبو ظبي بعدم المهنية .. ولأن الأمريكيين أكدوا أن تغطية الحرب في العراق من جانب وسائل الإعلام العربية لم تكن منصفة، أو أنها اتسمت بالتحريض... لا بد من تأكيد هذه الحقيقة . لقد حدثت ثورة حقيقية في مستوى أداء الميديا العربية ، وخاصة مع بداية

عمل قناة الجزيرة ، وهي ثورة ظهرت بالفعل في تغطية الحرب الأمريكية على العراق. "(8)

كما قامت الجزيرة بنقل صور حية عن الأوضاع التي تعيشها الشعوب العربية من أمية وفقر وحرمان ومن غياب فتح الحوار الديمقراطي بين الأنظمة العربية وشعوبها، ومن استغلالها لوسائل الإعلام لخدمة مصالحها وقمع الحريات الفردية والجماعية والتصدي لكل محاولة لتغيير الأوضاع، حيث سعت نظمها السياسية إلى تزيف واقع هذه الشعوب وما تعانيه من تضليل إعلامي لواقعها السياسي والإجتماعي المعيش ، فكان لقناة الجزيرة الجرأة في تعرية هذا الواقع ، ونقله للرأي العام العالمي ، وتحرير المشاهد العربي من قيود وهيمنة النظام الإعلامي السلطوي : " هذه القناة شعارها الرأي والرأي الآخر التي تبث من قطر كسرت بجرأة جمود الإعلام العربي وسكونه إزاء القضايا والأحداث الراهنة والكسل المتعمد أحيانا في التغطية الإخبارية المثيرة وغياب الحقيقة عن الجمهور العربي الذي تدمر من السطوة الخائفة للإعلام ورقابتها وحارس البوابة . فراح يبحث عن ضالته في مكان آخر صارت الجزيرة .. مصدرا للمشاهد العربي تغذيه بالأخبار برؤية عربية متزنة بعيد عن التشويه والزيف والمبالغة التي اعتمدتها مصادر أجنبية مدسوسة. "(9)

– قناة الجزيرة والحراك الاجتماعي والسياسي في البلدان العربية في المرحلة الراهنة:

يشهد العالم العربي في المرحلة الراهنة تحولات كبيرة حيث انتشر وفي مراحل زمنية متعاقبة وقياسية حراكا اجتماعيا وسياسيا تمثل في تلك الاحتجاجات التي خرجت إلى الشارع تندد بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المزرية ، فقد كانت لكل انتفاضة شعبية مطالبها وهذا يعود إلى خصوصية المجتمعات العربية التي شهدت هذا الحراك ذلك أن

الانتفاضة في تونس ومصر كانت اجتماعية ثم تحولت إلى انتفاضة سياسية ، والانتفاضة في ليبيا واليمن وسوريا كانت سياسية بالدرجة الأولى .

إن موجة الاحتجاجات والانتفاضات التي تشهدها بعض الدول العربية قد كشفت عن الوجه الآخر أو الوجه الخفي لقناة الجزيرة في طريقة تغطيتها لهذه الأحداث، وفي تدخلها في شؤون هذه الدول ، وهذا يعني أنها خرجت عن وظيفتها الإعلامية التي تتطلب المصداقية والحياد ، كما اخترقت النظام الداخلي أو ميثاق الشرف الصحفي للقناة الذي ينص على النزاهة والموضوعية والشفافية في التعامل مع الأخبار ومصادرها ، وتغير خطابها الإعلامي من النقيض إلى النقيض حيث إنها سخرت كل وسائلها وطاقاتها للوقوف بجانب ما أسمىهم بالثوار و سوقت لانجازاتهم السياسية والعسكرية ، وناهضت أغلب الأنظمة العربية وأخفت ما يحدث من احتجاجات وتظاهرات في بلدان عربية مثل دولة البحرين .

إن قناة الجزيرة ليست وسيلة إعلامية محايدة ، بل إنها جهاز إيديولوجي ينتج خطابا إعلاميا موجها يقوم بوظيفة تشكيل الرأي العام وتوجيهه ، ويخدم مصالح فئة اجتماعية ، ويساهم في تثبيت هذه الفئة والنظام السياسي الذي تنتمي إليه ، كما تقوم هذه القناة بعرض بعض الحقائق وتزييف البعض الآخر منها، ويتجلى ذلك في عملية انتقاء وترتيب الأخبار الإقليمية والعالمية ، كما تسكت وتتكتم عن الأحداث في دولة قطر والسعودية والإمارات والكويت .. منها مسألة حقوق الإنسان و استغلال العمال الأجانب ، وحالات الفقر المنتشرة في هذه البلدان ويبدو عدم حيادها خاصة في مواقفها المعارضة للنظم السياسية العربية التي شهدت موجة الاحتجاجات، حيث إنه أثناء المواجهات العسكرية المسلحة في ليبيا سمّت المعارضة المسلحة بالثوار " قوات فجر ليبيا " و مجلس شورى ثوار

بنغازي "وهي عبارة عن جماعات مسلحة ذات توجهات إسلامية مختلفة ، والجيش الليبي ب: " كتائب القذافي " وقوات الجنرال خفتر " و"حكومة الثني المنحلة " ، وسمت الجيش السوري الحر بالمعارضة المسلحة و" الجيش العربي السوري " بالجيش الأسدي والقوات النظامية ، ونظام الأسد ، وسمت حركة الإخوان بمصر بالمناهضين للانقلاب ، والنظام المصري الجديد ب" حكم العسكر " وحكم الانقلاب " وفي اليمن سمت الجيش اليمني ب: " قوات صالح " وحزب أنصار الله ب " الحوثيين ، جماعة الحوثي " مليشيات الحوثيين " وسمت أنصار الرئيس السابق " عبد الله هادي " بالمقاومة الشعبية" ... وقامت قناة الجزيرة بدعم هذه الاحتجاجات في المنطقة العربية بعرض صور مزيفة كشفت عن عدم صدقها وسائل إعلامية أخرى .

ولم تعترف قناة الجزيرة بمشاركة جيش دولة قطر بجانب قوات النيتو إلا مؤخراً فقد كرم حسب قناة الجزيرة ولي العهد القطري ما سمته ب " قوات الواجب القطرية " مقاتليها في ليبيا . كما أن قناة الجزيرة تعتمد في نقل الأحداث والأخبار من المعارضين السوريين في داخل سوريا وخارجها مما يؤدي ذلك في التشكيك والطعن في مصداقية هذه الأخبار والأحداث ، وتمثل هذه المصادر في : لجان التنسيق ، الهيئة العامة للثورة، الشبكة السورية لحقوق الإنسان ، مكالمات هاتفية من نشطاء سوريين ، أخبار من بعض عناصر المجموعات المسلحة المنتمية لما يسمى ب: الجيش السوري الحر " ، آراء ومواقف لأعضاء وممثلين عن ما يسمى ب " المجلس الانتقالي السوري " والائتلاف السوري المعارض والمرصد السوري المعارض...

كما نقلت قناة الجزيرة صوراً عن مdahمات للجيش السوري لبعض المدن والمحافظات منها حمص ودوما وحلب وريف دمشق ودير الزور... و روجت لاستعماله غاز السارين

والكلور واصابة مدنيين وأطفال بحالات اختناق قاتلة في ريف دمشق و ورمي براميل متفجرة على مناطق وبلدات بإدلب وحلب وحماه ...

ويظهر الانحياز الإعلامي لقناة الجزيرة في التعتيم الذي تمارسه على الانتفاضات والاحتجاجات التي تشهدها دولة البحرين وفي بعض مناطق السعودية وخاصة في المنطقة الشمالية منها القطيف والأحساء .. ، وساندت الثورة في مصر ضد نظام مبارك ، ووقفت بجانب حركة الإخوان ، وناهضت سقوط الإخوان بعد سنتين من الحكم وسمته انقلابا على الشرعية ، كما أن هذه القناة لا تكشف عن الصراع داخل العائلة الملكية الحاكمة ولا تنقل الأحداث داخل قطر كان آخرها احتراق مستودع وإصابة بعض المقربين من النظام الملكي الحاكم بقطر .

لقد وظفت قناة الجزيرة الخطاب الديني لدعم الاحتجاجات في المنطقة العربية وتداخل هذا الخطاب مع الخطاب الإعلامي والسياسي والادبيولوجي وللتدليل على ذلك فإن شخصية القرضاوي قد لعبت دورا كبيرا في تأطير ما يسمى " الربيع العربي " فقد كان يستمد من الدين ما يبرر شرعية هذه الاحتجاجات ، وقد ساهم بقسط كبير في التأثير على المتمردين في ليبيا ، وفي سقوط النظام السياسي الليبي ويقف اليوم بجانب الجماعات المسلحة في سوريا للقضاء على النظام السياسي السوري ، ويدعم حركة الإخوان في مصر ويسمي ما حدث في الثلاثين من يونيو ب " الانقلاب على الشرعية " ، كما أفتى بقتال كل من يقف مع الأنظمة العربية ويساندها من سياسيين وعسكريين وعلماء ... وناهض المد الشيعي في سوريا واليمن والبحرين ...

وفي هذا الاتجاه يجب أن نشير أن الاحتجاجات التي تعرفها المنطقة العربية قد كشفت عن نوع جديد من العلاقات الدولية والتكتلات السياسية والصراعات الطائفية تتمثل في عودة الحرب الباردة من جديد وانقسام القوى المتصارعة إلى كتلتين : كتلة تقودها روسيا والصين وكوريا الشمالية تحالفت مع إيران وسوريا ولبنان وخاصة حزب الله وكتلة تنزعها أمريكا والاتحاد الأوروبي وأغلبية دول مجلس التعاون الخليجي التي تقودها السعودية في حركها على اليمن التي سميت ب : " عاصفة الحزم "

ويبدو أن الصراع الطائفي قد هيمن على المنطقة العربية وقد تجلّى في الصراع بين التيار السني والتيار الشيعي، وتتمثل أيضا مؤشرات هذا الصراع في تعدد القنوات الفضائية التي تدعم هذا أو ذاك حيث إن القنوات التي تدعم التيار السني بشقيه السلفي والإخواني تتمثل أساسا في قناتي الجزيرة والعربية أما قناة سوريا الفضائية وقناة المنار وقناة العالم وقناة الميادين فإنها تسوق للتيار الشيعي حيث عرضت هذه القنوات في أكثر من مرة إنجازات عسكرية لحزب الله في بلدة القصير وجبال القلمون والجولان المحتل ودرعا بسوريا وقوات الحشد الشعبي بالعراق وحزب انصار الله باليمن ...

لقد كان الهدف من استعمال هذه القوى المتصارعة لوسائل الإعلام توسيع رقعة ومستوى النزاع على مستوى الخطاب الاديلوجي والسياسي يحاول فيه كل طرف الهيمنة على خصمه وحشد الرأي العام حوله وصد عدوه سعيا لتشويهه وإظهاره في صورة الخطر الذي يهدد كيان الأمة العربية والإسلامية يقول فؤاد بن حالة : " يجب أن نسجل أيضا بأن مراقبة وسائل الإعلام أصبح عنصرا أساسيا في استراتيجيات السيطرة . في صلب هذا النشاط توجد عملية بناء صورة الآخر وتشويهها والتشنيع بها. يهدف الفاعلون من

خلال تشويه صورة الآخر إلى إحداث حالة عدم استقرار لدى العدو المفترض، وفي نفس الوقت إزالة إرادة المقاومة لديه واكتساب الشرعية لتدميره.⁽¹⁰⁾

وأما المضمون الايديولوجي لقناة الجزيرة والفئة التي توجهها وتحكم في طبيعة الخطاب الإعلامي الذي تنتجه يتضح أن ثمة فرق شاسع بين التكنولوجيا والايديولوجيا ذلك أن قناة الجزيرة تعد مؤسسة إعلامية مزودة بأحدث الوسائل التكنولوجية التي جعلتها تنافس كبريات الفضائيات الغربية والأمريكية ، وتنقل الأحداث والأخبار بأحدث التقنيات ، ولكن هذه التكنولوجيا تمارس وظيفة أخرى تتمثل في التلقين الايديولوجي وهنا تكمن العلاقة بين التكنولوجيا والايديولوجيا وهذا ما تقوم به قناة الجزيرة حيث تنتج خطابا إعلاميا موجها يهدف للتأثير على الرأي العام وتوجيهه يقول بورديو : " إذا كان من الممكن اعتبار أن العلم محايد ، فإن استخدامات العلم وتطبيقاته أي التكنولوجيا ليست محايدة ، فيما يتعلق بتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات فإن التوظيف والمضمون الإيديولوجي لهذه التكنولوجيا يجد اوضح مثال له في الدور الذي يلعبه التلفزيون .. مما لا شك فيه أن المواجهات الايديولوجية التي كانت سائدة طوال فترة الحرب الباردة قد انتهت بصورتها القديمة ، أي المواجهة وجها لوجه وسيادة الخطاب الايديولوجي المباشر . لكن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن المنصرم وحتى الآن هو انفراد ما يمكن أن نسميه بالايديولوجيا الناعمة بموقع الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة . الايديولوجيا الناعمة تتمثل في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الإعلام الحديثة وكذلك الوسائط المتعددة وانتشار شبكة الأنترنت على المستوى العالمي. هذه الجرعات تتغلغل وتنساب إلى عقول

المشاهدين والقراء والمستمعين ومستخدمي الوسائط المتعددة والانترنت بهدوء وبلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق.⁽¹¹⁾

ويقف وراء هذه القناة النظام السياسي القطري الذي يقوم بتمويل هذه القناة ماديا وبأموال ضخمة على الرغم من أن المشرفين على القناة يدعون استقلالية القناة واعتمادها على ما تروجه من أخبار عن طريق الإعلانات والإشهار ، ويدعو أن المناصب التي لها تأثير وفعالية في التسيير والمراقبة يستحوذ عليها المقربون من هذا النظام ومن العائلة الملكية القطرية حيث يقومون بعرض الأحداث والأخبار الإقليمية والعالمية وتشديد الرقابة على الأخبار التي ترتبط بدولة قطر أو حلفائها في العالم العربي والأوروبي والأمريكي .

وتذهب بعض الدراسات إلى أن قناة الجزيرة يهيمن عليها تياران بارزان في توجيه خطابها الإعلامي والإيديولوجي: أحدهما ليبرالي وآخر إسلامي يسعى النظام السياسي إلى إحداث التوازن بينهما : " التفاوت الكبير بين مقدمي نشرات الأخبار والمراسلين يفسره بعض المطلعين على أوضاع الجزيرة الداخلية بأنه صورة الانقسام الداخلي في المحطة ، الذي يوازي بين أطرافه السياق العام الذي أراده أصحابها لها ، إذ أصبح من المعروف ان اتجاهها إعلاميا ليبراليا متمثلا في المدير العام محمد الجاسم هو الذي يقف وراء نزوع المحطة إلى التفلت من القيود السياسية ، وتغليب المعطيات الإعلامية على السياسية ، في حين يوازي هذا الاتجاه ويغلبه أحيانا اتجاه آخر يمثل عضو مجلس الإدارة محمد السهلاوي ، المعروف بميله الإسلامية ، والذي يمتد نفوذه إلى استديوهات الأخبار والبرامج ، ويقوم وزير الخارجية القطري ، محمد بن جاسم بن جابر ، وهو أحد المالكين الرئيسيين للمحطة بالموازنة بين الاتجاهين.⁽¹²⁾

الخاتمة:

تعتبر قناة الجزيرة من بين أبرز القنوات الفضائية العربية التي أحدثت قفزة نوعية في نقل الأحداث والأخبار الإقليمية والعالمية وذلك بفضل ما تمتلكه من إمكانيات تكنولوجية عالية تضاهي بها القنوات الغربية والأمريكية ، كما تملك هذه القناة نخبة من الصحفيين والمراسلين المتمرسين والمحترفين في مجال العمل الصحفي ، وهذا يبرز قدرة القناة على التغطية الإعلامية للأحداث باحترافية ، ولكن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يشهدها العالم وبخاصة العالم العربي دفع بقناة الجزيرة إلى اتخاذ استراتيجية معينة للدفاع عن مصالح النظام القطري ومصالح حلفائه ويتجلى ذلك في طبيعة الخطاب الإعلامي الذي تنتجه وفي أهدافه السياسية والايديولوجية .

الهوامش:

- (1) - محمد شطاح، قضايا الإعلام في زمن العولمة بين التكنولوجيا والإيديولوجيا، دراسات في الوسائل والرسائل، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006، ص38
- (2) - محمد السيد سعيد، الاتجاهات والقوى الجديدة في فضاء الإعلام العربي، مقال بكتاب الاعلام العربي في عصر المعلومات، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2006، ص48
- (3) - محمد إبحرين، التواصل مع العالم العربي والإسلامي: الدبلوماسية الشعبية الأمريكية ودبلوماسية الحوار الألمانية، مقال منشور بكتاب الاعلام العربي في عصر المعلومات، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2006، ص327
- (4) - نoured القادري عيسى، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص112

- (⁵)- مفيد الزبيدي، قناة الجزيرة كسر المحرمات في الفضاء الإعلامي العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص 443-444
- (⁶)- مي العبد الله، التلفزيون وقضايا الاتصال في عالم متغير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 275
- (⁷)- نھوند القادري عيسى، مرجع سابق، ص 78
- (8)- محمد السيد سعيد، مرجع سابق، ص 43
- (9)- هالة محمد اسماعيل بغدادي، الإخباريات الفضائية العربية الواقع والطموح، دراسة ميدانية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009، ص 67
- (10)- فؤاد بن حالة، صدمة الاتصال الشمولي الأنظمة والمجتمعات العربية في مواجهة التحدي، منشورات، ANEP، 2005، ص 40
- (11)- بيار بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، تر: درويش الحلوجي، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2004، ص 23-24
- (12)- نھوند القادري عيسى، مرجع سابق، ص 76-78